﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المفارقة بين القائد الباهر والتّابع الخائر

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقةُ مَوقِفَ أصحابِ موسى ﷺ، ناسب أن يُذكرَ عَقِبَها مباشرةً موقفُ الرَّسول ﷺ من كلامهم، إذ ناسبَ الرَّدُّ بالزَّجر والرَّدع لمن ضَعُفَ وذلَّ، مع بيان الثِّقة بالله تعالى ونصره المبين، فهو انتقالٌ من بيان موقف الأتباع إلى بيان موقف المتبوع؛ لتَظهرَ المفارقةُ بين القائد المستيقن، والتّابع الخائر.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَيَهۡدِينِ﴾: هَدَى يَهْدي هدايةً، من أصل (هدي) الدالِّ على تبيّن الوجهة بالتقدّم أو الكشف، يُقالُ: هَدَيتُه الطَّريقَ هدايةً، أي: تَقدَّمتُه لِأُرشدَه، وكلُّ مُتقدِّمٍ لذلك هادٍ، والهُدَى: خلافُ الضَّلالة[1]، والهدايةُ: دَلالةٌ بلُطفٍ، ومنه: الهديَّةُ، وخُصَّ ما كان دَلالةً بهَدَيْت، وما كان إعطاءً بأَهْدَيت، نحو: أهديتُ الهديَّة، وهَدَيتُ إلى البيت، قالَ تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [السجدة: 24][2].

وقولُه تعالى: ﴿مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ أي: سيدُلُّني على طريقِ النَّجاة[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تمامُ الثِّقةِ بموعودِ الله تعالى توزّث النَّجاةَ

تُبيِّن الآيةُ ما قالَه موسى ﷺ لأصحابه: بأن يرتدعوا عمّا يقولون: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾، فإنَّه لن يَصِلَ إليكم شيءٌ ممّا تَحذَرون؛ فإنَّ اللّهَ هو الَذي أمرَني أن أسيرَ ههنا بكم، وهو سبحانه وتعالى لا يُخلِفُ الميعاد، وهو معنا بالنَّصرِ والهداية، وسيدلُّني على طريقِ النَّجاة[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (هدى).
(2) الرّاغب، المفردات: (هدى).
(3) الشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 136.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 316، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 136.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّة فصل الجُملة عن سابقتها:

المحاورةُ طريقُ الإيجازِ واختزالِ المعاني

قالَ موسَى ﷺ لِقَوْمِهِ - لمّا سمع مقالتهم -: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، أي: لَيْسَ الأَمرُ كَما ذَكَرْتُم، كَلّا لَنْ تُدْرَكوا[1]، فقال ذلك رَدْعًا لهم عن سوء الظَّنِّ باللّه وإرشادًا إلى أنَّ تدبيرَ اللّه تعالى يُغني عن تدبير موسى[2]، فالجُملةُ مُستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا[3]، ولذلك فُصلت عمّا قبلها لأنّها جاءت على طريقة المُحاورة.

معنى ﴿كَلَّآ﴾ ودلالتُها:

إذا وقعت الإساءةُ حسُن الرَّدُّ الزّاجر

حرفُ ﴿كَلَّآ﴾: حَرْفُ جوابٍ بمعنى الرَّدع والزَّجر، وهي للنَّهي عن كلامٍ سابقٍ، ومعناها في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾: لن يُدرِكوكم؛ لأنَّ اللّه تعالى وعدكم النَّصر والخلاص منهم؛ فتكون زجرًا لهم ورَدعًا[4] عن قيلهم الذي تعجّلوه قبل رؤية اليقين.

علَّة فصلِ الجملة:

تعليلُ الرَّدعِ بيانٌ للمستقبلِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ تعليلٌ لمقول القولِ المقدَّر أي: (كلّا لن يدركونا)[5]، لأنَّ اللّه معي، وهو سيُنقذني؛ فالجُملة تعليلٌ للرَّدع المُتقدِّم أي: إنَّ معي ربّي بالحفظ والنُّصرة ﴿سَيَهْدِينِ﴾ قريبًا إلى ما فيه نجاتكم منهم ونصركم عليهم[6]، وفي هذا التَّعليل إرشادٌ إلى أنّ تدبير اللّه تعالى يُغني عن تدبير موسى[7]، وهذا التَّعليلُ بيانٌ للرَّدع.

غرض تقديم ﴿مَعِيَ﴾:

الاهتمامُ بأمرِ المعيَّة التي هي مدارُ النَّجاة المطلوبة

تقديمُ متعلَّق الخَبَرِ المحذوفِ ﴿مَعِيَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعِيَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 581.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 164، والآلوسي، روح المعاني: 19/ 85.
(3) الصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 19/ 79.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 160، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 135، وبهجت صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتّل: 8/ 197.
(5) الدّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 7/ 79، والصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 19/ 79.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 85.
(7) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 85.

﴿رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ لأجل الاهتمام بأمر المعيَّة التي هي مدارُ النَّجاة المطلوبة[1] وتوكيدُ حُكْمِها، فلمّا تمكَّن نبيُّ الله موسى ﷺ في النُّبوَّة، وكَثُرَتْ آياتُ الله الجميلة عنده، وعاينَها منه وقتًا بعد وقت؛ أيقن أنَّه لا يُسلِمه لشدَّة، وقد سلَّمه منها مرّةً بعْدَ أخرى؛ فقال ما قال ثقةً بِرَبِّه، وتوكّلًا عليه[2].

إذا وقعت النَّجاةُ للقائد المؤمن لَحِقت الأتباعَ رحماتُ الإنجاء

غرضُ إفرادِ موسَى ﷺ بالذِّكر:

قصر النَّظمُ الكريمُ ذِكْرَ موسَى ﷺ في قَولِه تعالى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾؛ فلم يقل: (إنّ معنا ربَّنا سيهدينا)؛ لأنَّهم لم يَكونوا عالِمينَ بما ضَمِنَ اللهُ له من مَعيَّةِ العنايةِ؛ فإذا عَلِموا ذلك عَلِموا أنَّ هِدايتَه تَنفَعُهم؛ لأنَّه قائِدُهم، والمُرسَلُ لفائدتِهم، ووجْهُ الاقتِصارِ أيضًا: أنَّ طريقَ نَجاتِهم بعدَ أنْ أدركَهُم فِرعونُ وجُنْدُه لا يَحصُلُ إلّا بفِعلٍ يَقطَعُ دابِرَ العدوِّ، وهذا الفعلُ خارِقٌ للعادةِ؛ فلا يَقَعُ إلّا على يَدِ الرَّسولِ، وهذا وجْهُ اختلافِ المَعيَّةِ بيْنَ ما في هذه الآيةِ وبيْنَ ما في قَولِه تعالى في قِصَّةِ الغارِ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوبة: 40]؛ لأنَّ تلك مَعيَّةٌ حِفظِهما كِلَيْهِما بصرْفِ أَعيُنِ الأعداءِ عنهما[3].

وقد أشار النَّظمُ أيضًا إلى ضعف قومه في اليقين حيث قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، فقَطَعَهُم عن الشَّركة، وأفرد نفسه بالذِّكر؛ لأنَّ مُكاشفة سِرِّ المعيَّة؛ إنَّما كانت له لا لِقَومِه، فلم يستحقّوا النُّصرة والهداية إلّا بمتابعة موسى، فإنَّه منصورٌ البتَّة بالوعد الإلهي، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: 51][4].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 85.
(2) القصّاب، النُّكت الدّالة على البيان: 3/ 526.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 160، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 135.
(4) إسماعيل حقّي، مرآة الحقائق في تفسير بعض الآيات والأحاديث والواردات واللَّطائف: 1/ 297.

نكتةُ إسنادِ المَعيَّة إلى الرَّبّ:

أُسندت المَعيَّةُ إلى الرَّبِّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾؛ لاستصحاب لطف الله به وعنايته بتقدير أسباب نجاته من عَدوِّه[1]، والمُراد بالمعيَّة هُنا المعيَّةُ الخاصَّةُ التي تقتضي النَّصرَ والتَّأييدَ[2].

استصحابُ لُطفِ اللهِ وعنايتِه بتقدير أسباب نجاته

دلالة توالي المؤكِّدات:

لمّا جاء التَّوكيدُ في جملة: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ قوبل بتأكيد أنّهم لن يُدركوا، وتأكيدُ ذلك أوَّلًا بِذِكْرِ معيَّة الله سُبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾، وتأكيده ثانيًا بقوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾؛ لأنَّ السّين تدلُّ على التَّحقيق والقُرْب، وقد حصل ما تيقّنه موسى ﷺ من أنَّ الله سُبحانه سيهديه طريق النَّجاة[3].

لا يدفع تأكيدَ الضَّعيف في أوهامه مثلُ تأكيدِ المُتيَقِّن في فهومه

دلالة التَّعبير بالمُضارع:

التَّعبيرُ بالفعل المُضارع ﴿سَيَهْدِينِ﴾ فيه دلالةٌ على تَجَدُّدِ الهداية واستمرارها في المستقبَل القريب، بما يَدْفَعُ هذه المواقفَ العصيبة، التي يلجأ فيها الإنسانُ إلى ربِّه، وهي هدايةٌ لما فيه نجاتهم ونصرهم على عَدوِّهم، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الله سُبحانه وتعالى كما يهدي إلى الطَّريق المعنويِّ يهدي أيضًا إلى الطَّريق الحِسّيِّ[4].

كُلَّما تجدَّدت أسبابُ الغِواية نَسَخَتْها أسبابُ الهداية

دلالةُ استعمال حرف السّين:

السّينُ في قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ تدلُّ على التَّحقيق والقُرب، والمعنى: (سيدلّني على طريقٍ أنجو به)، وموسى لم يكن عالمًا بهذا الطَّريقِ حينَ صدور قوله، ولكنَّه واثقٌ من النَّجاة، ولهذا أتى بالسّين الدّالّة على التَّحقيق والقرب؛ لأنَّ المقام يقتضي ذلك، فحرفُ الاستقبال (السّين) يُشعِرُ بسُرعة حدوث الهداية وتوكيد حصولها[5].

الإشعار بسُرعة حدوث الهداية وقربها وتوكيد حصولها

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 135.
(2) العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ص: 133.
(3) العثيمين، تفسير سورة الشُّعراء، ص: 132، ومحمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 10/ 5361.
(4) العثيمين، تفسير سورة الشُّعراء، ص: 133.
(5) العثيمين، تفسير سورة الشُّعراء، ص: 133، وبهجت صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتّل: 8/ 197.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الهداية والإرشاد:

تكون الهداية في المحبوب والمكروه ولا يكون الإرشاد إلّا في المحبوب

الهِدايةُ أَعمُّ مِنَ الإرشادِ مِنْ وجهٍ وأَخَصُّ من وجهٍ؛ لأنَّ الهدايةَ تكون في المحبوب وفي المكروه، فالأوَّلُ كآيةِ الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6]، والثّاني كقوله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصّافّات: 23]، والإرشادُ لا يكون إلّا في المحبوب، فالهدايةُ بهذا الاعتبارِ أَعَمُّ.

وأمّا خصوصيَّةُ الهدايةِ؛ فلِأَنَّ الهدايةَ هي الدِّلالةُ الموصِلَةُ إلى البُغْيَةِ، والإرشادُ لا يلزمُ منه ذَلِكَ[1].

(1) يُنظر: أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 42، وجمال الدّين الفَتَّنِي، مجمع بحار الأنوار: 5/ 146، ومحمَّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: 2/ 804.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»